أسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق "هذا الذّي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ وأثره في المعنى (دراسة نحوية تطبيقية)

إعداد: د. تهاني جمعة عبدالله البقار[1] *

تاريخ الاستلام2026/1/20– تاريخ القبول2026/2/19م تاريخ النشر 2026/3/16

الملخص:

أسلوب الشرط من أهم الأساليب النحوية التي تلعب دورًا أساسيا في بناء المعنى وتعزيز الترابط بين الأفكار داخل النصوص الأدبية، وجاءت هذه الدراسة لتُسلِّط الضوء على أسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق "هذا الذّي تعرفُ البطحاءُ وطأته" عبر قراءة نحوية تطبيقية لأدوات الشرط، وأنواعها، جمل الشرط وأجوبتها، وتأثيرها على الأفعال التابعة لها، ودورها في تعزيز المعنى، مِمَّا يوضح أثر هذه التراكيب النحوية في تحقيق التماسك التركيبي والدقة اللغوية في النص الشعري.

وتُعدُّ هذه القصيدة أنموذجًا غنيًّا بأدوات الشرط المتنوعة، وقد برع الفرزدق في توظيف هذا الأسلوب توظيفًا فنيًا محكمًا حيث جاء تركيبها النحوي مبنيًا على تكرار أسلوب الشرط بأنواعه، مما يعكس وعيًا نحويًا بالغ الأثر في إبراز المعنى وتوضيحه.

الكلمات المفتاحية: أسلوب الشرط، قصيدة الفرزدق، الأثر، المعنى.

* ـ محاضر/ قسم اللغة العربية– كلية التربية/ الجامعة الأسمرية الإسلامية
T.ALbagar@asmarya.edu.ly

The accusative style in Al-Farazdaq's poem "He Who Knows His Home is Batha" and its effect on the meaning - Applied grammatical study .

Dr:Thani Juma Abdullah Al-Baqar -

received January/ 20/2026–accepted February/19/2026 –published march/16/2026

Abstract

: The conditional style is one of the most important grammatical methods that plays a fundamental role in constructing meaning and enhancing the connection between ideas within literary texts. This study came to shed light on the conditional style in Al-Farazdaq's poem "He Who is Known for His Bruises" through an applied grammatical reading of the conditional devices, their types, conditional sentences and their answers, their effect on the verbs that follow them, and their role in enhancing meaning, which clarifies the effect of these grammatical structures in achieving grammatical cohesion and linguistic accuracy in the text capillary.

This poem is considered a rich example of the various damma devices, and Al-Farazdaq excelled in employing this style artistically, as its grammatical structure was based on the repetition of the damma method in all its types, which reflects a grammatical awareness that has a great impact in highlighting and clarifying the meaning .

Keywords: conditional style, Al-Farazdaq's poem effect meaning

المقدمة:

يُعدّ النحو العربي ركيزة أساسية في فهم النصوص الأدبية، ولا سيما الشعر العربي، حيث تتكامل التراكيب النحوية مع الجماليات البلاغية لتشكيل دلالة النص وعمقه المعنوي، ومن أبرز الأساليب النحوية التي لعبت دورًا أساسيا في بناء المعنى الشعري أسلوب الشرط، إذ يُمكّن الشاعر من بناء علاقة منطقية بين الفكرة ونتيجتها، ويُكسب النص طابعًا يضيف إلى جماليته بعدًا فكريًا عميقا.

وأسلوب الشرط من أهم الأساليب النحوية التي تلعب دورًا مركزيًا في بناء المعنى وتعزيز الترابط بين الأفكار داخل النصوص الأدبية، فالشرط ليس مجرد أداة لغوية تربط بين فعلين، بل هو أداة فكرية تُؤسس لعلاقات منطقية قائمة على التبعية والسببية، مما يجعل من تحليله ضرورة لفهم البنية النحوية والمعنوية للنص الشعري، فهو يسهم في تنظيم البنية التركيبية للجمل بربطه بين جملتي الشرط والجواب عن طريق أداة شرط، وتكمن أهمية دراسته في كونه يبرز مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير الدقيق عن العلاقة بين السبب والنتيجة، والاحتمال والوقوع.

وتُركّز هذه الدراسة على الجانب النحوي لأسلوب الشرط عبر تحليل العناصر النحوية المكوّنة للشرط: أداة الشرط، فعل الشرط، وجواب الشرط، ونوع الأداة جازمة أو غير جازمة، وتأثيرها على الأفعال التابعة لها ودورها في الوصول إلى الفهم الدقيق للمعنى، مما يوضح أثر هذه التراكيب النحوية في تحقيق التماسك التركيبي والدقة اللغوية في النص الشعري.

تأتي هذه الدراسة لتُسلِّط الضوء على أسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق "هذا الذّي تعرفُ البطحاءُ وطأته" عبر قراءة نحوية تطبيقية لأدوات الشرط، جمل الشرط وأجوبتها،

ودورها في تعزيز المعنى.

أهمية البحث: أسلوب الشرط أداة مهمة لربط الجمل والأحداث، ويُظهر العلاقة السببية بين أفعال الشرط ونتائجها، مما يساعد على تحليل المعنى وإبراز الأثر.

سبب اختيار موضوع البحث: هذه القصيدة أنموذج غني بأدوات الشرط المتنوعة (إذا، إنْ، لولا، مَنْ)، وقد برع الفرزدق في توظيف هذا الأسلوب توظيفًا فنيًّا مُحكَمًا، لا سيما في قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

"هذا الذّي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ"[1]

وتُعدّ هذه القصيدة من أبرز النصوص الشعرية التي وظَّف فيها الشاعر أسلوب الشرط لإظهار مكانة الممدوح (الإمام زين العابدين رضي الله عنه) بأسلوب نحوي محكم، وتمثل هذه القصيدة خلاصة فلسفة الفرزدق في الحياة، وقد جاء تركيبها النحوي مَبنيًّا على تكرار أسلوب الشرط بأنواعه، مِمَّا يعكس وعيًا نحويًا بالغ الأثر في إبراز المعنى وتوضيحه.

ينطلق هذا البحث لدراسة هذا الأسلوب في هذه القصيدة دراسةً نحوية تطبيقية، من خلال تحليل أدوات الشرط، وتراكيب الجملة الشرطية، وأثر ذلك على التركيب والمعنى داخل النص.

إشكالية البحث:

كيف وظّف الفرزدق أسلوب الشرط في قصيدته؟ وما أثر هذا التوظيف النحوي في بناء المعنى والدلالة داخل النص الشعري؟

1 ـ ديوان الفرزدق: ص511.

أهداف البحث:

رصد أدوات الشرط الواردة في القصيدة وتحليلها.

تحليل تراكيب الجمل الشرطية من الناحية النحوية.

بيان العلاقة بين التراكيب الشرطية والمعنى الكلي للقصيدة.

الكشف عن التماسك النحوي وأثره في تماسك البناء الشعري.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال:

الوصف اللغوي للظواهر النحوية المتعلقة بأسلوب الشرط: استخراج أدوات الشرط من النص،

تحديد نوعها (جازمة أو غير جازمة)، التحليل النحوي لكل أداة مع بيان فعل الشرط وجوابه،

وبيان دور أسلوب الشرط وأثره الفعال في إبراز المعنى الشعري.

خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، و ثلاثة مباحث رئيسية، تليها خاتمة، وقائمة المصادر والمراجع على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بأسلوب الشرط في النحو العربي.

المبحث الثاني: التعريف بالشاعر وقصيدته.

المبحث الثالث: تحليل أسلوب الشرط في القصيدة وأثره في بناء المعنى.

الخاتمة: أبرز النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

1 ـ الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس إبراهيم الشمسان، تقديم: محمود فهمي حجازي، الطبعة: الأولى، مطابع الدجوي، القاهرة، 1401 هـ ـ 1981 م.

2 ـ شعر الفرزدق دراسة أسلوبية، محمد السيد الدسوقي، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، 1992م وقد ركز الباحث على الجانب اللغوي.

3 ـ التطور الدلالي في شعر الفرزدق "دراسة لغوية أسلوبية"، ماجد مصطفى إبراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 1997م.

المبحث الأول: التعريف بأسلوب الشرط في النحو العربي:

أولًا: تعريف أسلوب الشرط:

أسلوب الشرط هو أسلوب نحوي يربط بين جملتين، يُعرَّف بأنه علاقة بين جملتين: جملة الشرط وجملة الجواب، بحيث لا يتحقّق الجواب إلا إذا تحقَّق الشرط، ويشترط في ذلك وجود أداة شرط، أو هو تعليق حصول مضمون جملة جواب الشرط بحصول مضمون جملة الشرط مثل: إنْ نجح محمد كافأتُه[1].

ثانيًا: مكوّنات أسلوب الشرط:

يتكون أسلوب الشرط من:

أداة الشرط: وهي الأداة التي تدخل على جملة الشرط وتربطها بجوابها، مثل: إنْ، إذا، لو، متى، مَنْ، ما، أينما...

جملة الشرط: الجملة التي يكون فيها فعل شرطي، وترتبط بها جملة الجواب.

جملة الجواب: الجملة التي تأتي بعد جملة الشرط وتكون جوابا له[2].

1 ـ ينظر: شرح كتاب الحدود: ص275.

2 ـ ينظر: شرح التسهيل، ناظر الجيش: 9/ 4337، شرح شذور الذهب: 2/ 597.

ثالثًا: أنواع أدوات الشرط:

تنقسم أدوات الشرط إلى أدوات جازمة وأدوات غير جازمة:

أدوات شرط جازمة: تجزم فعل الشرط وجوابه وهي: إنْ و إذما وتفيدان التعليق وهما حرفان، و مَنْ للعاقل، و ما و مهما لغيره، ومتى و أيّان للزمان، و أين و أنّى و حيثما للمكان، و أيّ بحسب ما تضاف إليه[1].

أدوات الشرط غير الجازمة:

هي أدوات تربط بين جملتين تترتب إحداهما على الأخرى، فهي أدوات تستلزم وجود جملتين هما جملة الشرط وجملة الجواب، ولكنها لا تجزمهما إنما مهمتها الربط بين الجملتين فقط، وأهم هذه الأدوات: إذا، لو، لولا، كلما، لمّا:

إذا: وهي ظرف لما يستقبل من الزمان يجر الشرط الواقع بعده، وهو منصوب بالجواب.

لَوْ: هي حرف يفيد امتناع وقوع الجواب لامتناع الشرط .

لَوْلَا: حرف يفيد حدوث الجواب لوجود الشرط .

كُلَّمَا: هي حرف يفيد استمرار تكرار جواب الشرط كلما تكرر الشرط، تقول: كُلَّمَا اجتهدت تفوقت.

لَمّا: الحينية وهي بمعنى "حين" وتفيد تعليق الجواب على الشرط[2].

وسميت أدوات الشرط بهذا الاسم؛ لأنَّ ما يأتي بعدها شرط وسبب لما يليه.

المبحث الثاني: التعريف بالشاعر وقصيدته:

1 ـ ينظر: شرح شذور الذهب: 2/ 597.

2 ـ ينظر: النحو العربي: 5/ 384، النحو المصفى: ص391.

الشاعر هو همّام بن غالب التميمي الملقّب بالفرزدق (ت 110هـ)[1].

عنوان القصيدة: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته.

مناسبة القصيدة: مدح الفرزدق للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

عندما حجَّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت ولم يستطع الوصول إلى الحجر الأسود ليستلمه؛ لكثرة الزحام، فبينما هو كذلك أقبل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فطاف بالبيت، فلما وصل إلى الحجر وسّع له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرًا، فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد قائلا:

"**هذا الذّي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ**"

هذه القصيدة التي أغضبت هشامًا فأمر بحبسه بين مكة والمدينة[2].

جاءت القصيدة في سبعة وعشرين بيتا ختمها بقوله:

"**يُستدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ ويستربُ بهِ الإحسانُ والنَّعمُ**"[3]

المبحث الثالث: أسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق "هذا الذي تعرف البطحاء وطأته" وأثره في المعنى:

نوّع الفرزدق في استعمال أدوات الشرط في هذه القصيدة؛ ليؤدي بها أغراضًا كثيرة تخدم المعنى العام للقصيدة، ولبيان كيفية توظيف الشاعر لهذه الأدوات سيتم

1 ـ ينظر: معجم الشعراء: 486.

2 ـ ينظر: ديوان الفرزدق: ص511.

3 ـ المصدر نفسه: ص514.

استخراجها وتحليلها نحويًّا ومن ثم بيان أثرها في المعنى.

استخدم الشاعر أداة الشرط الجازمة "إنْ" في البيت الثالث من القصيدة في قوله:

"هذا ابنُ فاطمَةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ بِجَدّهِ أَنبِياءُ اللهِ قَد خُتِموا"

أداة الشرط "إنْ" هي أداة شرط جازمة و أمّ أدوات الشرط تفيد الإبهام والشك، أو احتمال الوجود والعدم في الشرط الواقع بعدها[1]، وكنتَ: فعل ماضٍ ناقص في محل جزم فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف يفسره المذكور أي: فهو ابن فاطمة، فالأداة هنا ربطت بين جملتي الشرط والجواب، وأفادت في الوقت نفسه احتمال وقوع الشرط وعدمه أو الشك في جهله بالممدوح؛ لأنه معروف.

أثر أداة الشرط "إنْ" في معنى البيت:

استخدم الفرزدق أداة الشرط (إنْ) لتفيد معنى عميقا في البيت:

جملة الشرط: (إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ) تفيد الإبهام أو الشك في وقوع الجهل في حق الإمام، أو الجهل من المخاطب (هشام بن عبد الملك) على سبيل التهكم والتوبيخ، فليس من المعقول أن يكون شخص بمكانة الخليفة لا يعرف حفيد رسول الله ـ γ ـ ، فجملة الشرط جاءت هنا لتفيد معنى التوبيخ وبذلك تجد أنّ جملة الشرط أثَّرت بشكل مباشر في توبيخ الجهل بالممدوح وهذا بدوره يقطع بعظمة الممدوح.

وجاءت جملة: "بِجَدّهِ أَنبِياءُ اللهِ قَد خُتِموا" تتمة لجملة جواب الشرط المحذوف لدلالة السياق عليه، فحسمت الأمر وأزالت الجهل المُدَّعى من خلال بيان نسب الممدوح الشريف، وتأكيد مكانته، فكانت الجملة ردّا كافيا لأي إنكار أو ادعاء.

الخلاصة:

1 ـ ينظر: شرح الرضي: 4/ 90.

أسلوب الشرط الذي استعمله الشاعر خدم غرض القصيدة بشكل قوي وفعال مما أثْرى المعنى، حيث وظّف الشاعر هذا الأسلوب في الاحتجاج على هشام بن عبد الملك وتوبيخه على تظاهره بأنه يجهل الإمام، كما أنَّ الدقة في اختيار أداة الشرط "إنْ" دون غيرها؛ لأنها تفيد الشك والإبهام يتناسب مع مقصود البيت الذي يرمي لإظهار الشك في جهل المخاطب، ومن ثم دحض هذا الشك ودفعه ببيان الحجة الواضحة التي جاء بها جواب الشرط، فكيف يدّعي الجهل بالممدوح وهو حفيد الرسول ﷺ.

استخدم الفرزدق أداة الشرط "إذا" في البيت السابع من القصيدة في قوله:

"**حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُوا حلو الشمائلِ، تحلو عنده نعمُ**"

وهي أداة شرط غير جازمة، ظرف لما يُستقبل من الزمان، متضمِّنة معنى الشرط، متعلِّقة بالفعل بعدها[1].

جملة الشرط افتدحوا.

وجواب الشرط هو الجملة الاسمية: حلو الشمائل تحلو عنده نعم، وهي جملة تخبر بثبوت الصفة للممدوح إذا وقع الشرط.

أثر أداة الشرط "إذا" في معنى البيت:

"إذا" تفيد الجزم بتحقيق وقوع الفعل، بعكس "إنْ" فهي تستعمل في المعاني المحتملة والمشكوك في وقوعها[2].

فالمعنى أنَّ الشاعر يصف ممدوحه بصفة الكرم والمعونة عند المصاعب والنكبات، وأضْفَتْ أداة الشرط "إذا" على البيت معنى التحقق والثبوت في وقوع هذا

1 ـ ينظر: أمالي ابن الحاجب: 185/1.

2 ـ ينظر: شرح التسهيل: 81/4، الإتقان: 1022/3.

الأمر، وأفادت الربط بين حال القوم عند الشدائد وكرم الممدوح ومعونته في تلك المحن ممَّا جعل المدح أشد وقعًا على النفس، وأقوى في جعل كرم الممدوح أمر متحقق الوقوع عند المصائب والمحن.

وجملة جواب الشرط "حلو الشمائل..." جملة خبرية أفادت ثبوت الصفة للممدوح عند حصول الشدائد، فاستخدام "إذا" ينبئ بأنَّ حسن أخلاق الفرزدق هي صفة مؤكدة ومتحققة عند كل محنة وليست صفة احتمالية الوقوع، وهذا يزيد المدح قوة وتأكيدا.

فمع وجود الشطر الثاني للبيت يصبح المعنى أكثر تكاملا واستعمال "إذا" أكثر عمقا:

فنجد أن البيت قدَّم صورتين قويتين في المدح والذي زاد المعنى قوة هو استخدام إذا للربط بين جملتي الشرط والجواب، وإفادة معنى الثبوت وتحقق موقوع الصفة للممدوح ونفي احتمالية الشك:

الصورة الأولى (القوة والنخوة): تبدو واضحة في الشطر الأول من البيت باستخدام "إذا افْتَدَحُوا" فهو يحمل عن الناس المصائب العظيمة التي تُلِمُّ بهم وينقذهم منها[1].

الصورة الثانية (الكرم وحسن الخلق): تظهر في جواب الشرط "حلو الشمائل"، فهو يتميز بحسن خلقه، ويطيب له أن يجيب بنعم ويلبي حاجة كل من يلجأ إليه، بل ويتلذّذ بالعطاء[2].

واستعمال "إذا" في البيت يقوّي فكرة التكرار والتوقع، فشدائد القوم (افتداحهم) غير منقطعة، وعطايا الفرزدق مستمرة، فهو في حالة دائمة من الكرم والجود والشهامة.

1 ـ ينظر: شرح ديوان الفرزدق: 2/ 354.

2 ـ ينظر: المصدر نفسه: 1/ 354.

الخلاصة:

استخدام "إذا" في البيت يرسخ صورة الشاعر المتكاملة الذي يجمع بين القوة في الشدائد والكرم في العطاء، وقد نجح الشاعر في تصوير شخصية الممدوح باستخدام "إذا" وأكَّد بهذا الأسلوب النحوي على أنَّ هذه الصفات ثابتة لممدوحه، متحققة الوقوع، لا احتمالية للشك فيها.

استخدم الشاعر "لولا" في البيت الثامن من القصيدة في قوله:

"**وما قال: لا قطُّ إلا في تشهدهِ لولا التشهدُ كانتْ لاءَهُ نعمُ**"

لولا أداة شرط غير جازمة تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط[1]، فمعنى لولا هنا امتناع الجواب (كانت لاءه نعم) لوجود الشرط وهو (التشهد)، والتشهد: مبتدأ مرفوع، وخبره محذوف وجوبا، وكانت لاءه نعم هو جواب الشرط، وقد تحقق بأسلوب الشرط المبالغة في مدح الممدوح، فهو لا ينطق بكلمة لا التي تفيد الرفض إلا في صلاته عندما يذكر التشهد، ولو لم يكن التشهد واجبًا في الصلاة، لكان جوابه دائمًا "نعم" بدلاً من قول لا، وفي ذلك من المبالغة مالا يخفى.

أثر أداة الشرط "لولا" في المعنى:

بيّنت "لولا" أنَّ وجود "التشهد" هو السبب المانع الوحيد من أن يكون جواب هذا الرجل دائمًا هو الإيجاب "نعم"، فلو انتفى هذا السبب لانتفى المانع وحصل الجواب وهذا شيء مستبعد؛ لأنَّ التشهد أساسي في الصلاة.

كما أكد أسلوب الشرط على صفات تعلي من شأن الممدوح، وترفع شأنه فأفاد أنه موافق معطاء كريم، لدرجة أن هذا الرجل لا ينطق بكلمة "لا" التي تفيد الرد بالرفض

1 ـ ينظر: همع الهوامع: 575/2.

إلا في موطن العبادة وهو التشهد، مما يفيد أنه جواد سهل الطباع لا يرد سائلا[1].

الخلاصة:

نجح أسلوب الشرط باستخدام "لولا" في خلق بناء نحوي متين يفيد امتناع الجواب لوجود الشرط، فامتنع الإيجاب المطلق أو الموافقة الدائمة بكلمة "نعم" لنطق الممدوح بكلمة "لا" فقط في تشهده للصلاة، وفي هذا مبالغة في كرم الممدوح وكثرة تلفظه بالإيجاب وقول كلمة نعم وعدم الرفض مما جعل النفي مقصورا على العبادة فقط لا غير.

استعمل الفرزدق أداة الشرط "إذا" في البيت العاشر في قوله:

"إذا رأتهُ قريشٌ قال قائلها إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ"

"إذا" أداة شرط غير جازمة تفيد التأكيد بتحقق وقوع الفعل، بعكس "إنْ" فهي تستعمل في المعاني المحتملة والمشكوك في وقوعها، فهي ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه[2].

رَأَتْهُ: فعل ماض وهو فعل الشرط، وهي جملة تعبر عن الحدث المشروط.

قال: جواب الشرط، وهو فعل ماض، يتحقق عند تحقق جملة الشرط.

أثر أداة الشرط "إذا" في المعنى:

أفادت "إذا" تحقق وقوع الشرط، وربطت بين جملة الشرط وهي رؤية قريش للممدوح، وجواب الشرط وهو الاعتراف بكرم الممدوح عند رؤيته، وفي هذا دلالة على الإقرار بعظمته، واعتراف بفضله، مما يؤيد أنَّ مكارمه واضحة جلية لا تحتاج طول

1 ـ ينظر: شرح ديوان الفرزدق: 2/ 354.

2 ـ ينظر: شرح التسهيل: 81/4، الإتقان: 1022/3.

تأمل.

كما يدل هذا الأسلوب على التكرار والاستمرارية حيث يتكرر هذا المشهد كلما شاهده أهل قريش، فالكرم لا يتوقف عنده في موقف واحد، بل هو صفة ثابتة يراها جميعهم باستمرار.

الخلاصة:

أدّى أسلوب الشرط في هذا البيت دورا بارزا في تحقيق غرض القصيدة، حيث حوَّل خُلُق الممدوح من حالة محتملة إلى حقيقة مؤكدة جسَّد فيها اعتراف أهل قريش بأعلى درجات الكرم في الممدوح، وهذا الاستخدام أبرز مقام زين العابدين وعلو مكانته.

استخدم الشاعر أيضا أداة الشرط "إذا" في البيت الثالث عشر في قوله:

"**يكادُ يمسكهُ عرفانَ راحتهِ ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ**"

يتمحور أسلوب الشرط في هذا البيت حول أداة الشرط "إِذَا" وهي من أدوات الشرط غير الجازمة وقد سبق بيانها، وما زائدة لتأكيد المعنى.

جملة الشرط: "جاء يَسْتَلِمُ"، وجملة جواب الشرط جاءت مقدَّمة على الشرط وهي قوله: "يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ"، أي عند استلام هذا الزائر الحجر الأسود يهم هذا الحجر بأن يمسكه ولا يدعه يبتعد عنه من شدة تعلقه به وكثره استلامه له[1].

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

اختيار الشاعر لأداة الشرط "إذا" بدلاً من "إنْ" أو غيرها من أدوات الشرط له أثر عميق في توضيح المعنى وإثرائه:

1 ـ ينظر: شرح ديوان الفرزدق: 354/2.

بما أن "إذا" ظرف للزمن المستقبل تفيد تحقق وقوع جواب الشرط عند تحقق شرطه فالمعنى لا يحتمل التخمين والاحتمال، بل هو أمر متحقق الوقوع ومتكرر الحدوث بتكرار مجيء الزائر واستلامه للحجر الأسود.

كما أنَّ أسلوب الشرط ربط بين حدثين مُهمَّين وهما: مجيء الزائر واستلامه للحجر الأسود وبين تمسك الحجر بالمستلم لشدة تعلقه به وكثرة استلامه له، وهذا يعطي صورة عن عمق العلاقة الروحية بين المسلم والبيت الحرام، فقد استفاد الشاعر من وظيفة النحو في تنظيم العلاقة بين الكلمات في الربط بين فعل مادي وهو (الاستلام) و فعل خيالي للحجر الأسود وهو (يكاد يمسكه)؛ لنقل علاقة عميقة بين الطرفين.

الخلاصة:

يعتبر البيت أنموذجًا لأسلوب الشرط باستخدام الأداة غير الجازمة "إذا"، وكان لاختيار "إذا" الأثر العميق في تصوير المعنى، حيث أفادت تحقق الجواب ووقوعه عند تحقق الشرط، مما أضفى على المشهد صفة الاستمرارية والتكرار، كما أسهم أسلوب الشرط في ربط الفعل المادي بالفعل المعنوي، مما صور عمق الإحساس بقدسية المكان وعظمته في نفس الزائر.

استخدم الفرزدق أداة الشرط "مَنْ" في البيت السادس عشر في قوله:

"مَن يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أَوّلِيّةَ ذا فالدِّينُ مِن بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ"

يتمركز أسلوب الشرط في هذا البيت حول أداة الشرط "مَنْ" وهي اسم شرط جازم يجزم فعلين: فعل الشرط وجواب الشرط، و تُستخدم للعاقل، وتفيد العموم[1].

1 ـ ينظر: شرح التسهيل: 68/4.

فعل الشرط: "يَشْكُر اللهِ"، وجواب الشرط: "يَشْكُرْ أولوية ذا": فعل مضارع مجزوم بـ (مَنْ) وعلامة جزمه السكون.

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

اختيار الشاعر لأسلوب الشرط باستخدام "مَنْ" له أثر عميق في إبراز المعنى وتوكيده:

بما أنّ "مَنْ" الشرطية تفيد العموم فهذا يجعل حكم الشكر شاملاً لكل إنسان، كما أنَّ أسلوب الشرط يفيد الربط بين فعل الشرط وجوابه مما يجعل العلاقة لازمة بين الطرفين؛ لأنَّ شكر الله يقتضي بالضرورة شكر أوليائه والاعتراف بفضلهم ومكانتهم، كما أنَّ الجزم في فعل الشرط وجوابه يعطي الكلام قوةً وثباتا.

كذلك تجد أنَّ أسلوب الشرط حقق ترتيبا واضحا حيث ذكر السبب فالمسبب فالتعليل، فبدأ بفعل الشرط الذي يفيد شكر الله وهو السبب الذي أتى بعده بالمسبَّب وهو شكر أوليائه، وأردفه بذكر التعليل؛ لأنَّ الدِّين الذي استفادت منه الأمم جميعها قد نشره أهل الدين فهم من اهتموا به وحملوه على عاتقهم[1].

الخلاصة:

أسلوب الشرط الجازم باستخدام أداة الشرط "مَنْ" كان له دور كبير في نقل المعنى، حيث أفاد عموم الحكم واستمراريته؛ لأنَّ "مَنْ" تفيد العموم، كما أوضح علاقة الارتباط والسببية بين شكر الله تعالى وشكر أوليائه، وأردف بالتعليل الذي يبين سبب هذا الارتباط، فعبّر الأسلوب بدقة محكمة عن العلاقة الوطيدة بين حُبِّ الله وحُبِّ من اصطفاهم.

1 ـ ينظر: شرح ديوان الفرزدق: 355/2.

استخدم الشاعر أداة الشرط "إنْ" في البيت الثالث والعشرين في قوله:

"إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهمْ أو قيل من خيرُ أهل الأرض قيل هُمْ"

أساس أسلوب الشرط في هذا البيت هو أداة الشرط "إنْ":

وهي حرف شرط جازم، تجزم فعلين: فعل الشرط وجواب الشرط.

فعل الشرط "عُدَّ":

وهو فعل ماضٍ مبني للمجهول في محل جزم.

وجواب الشرط "كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ":

وهو فعل ماض ناقص في محل جزم، وواو الجماعة في محل رفع اسم "كان"، وأَئِمَّتَهُمْ: خبر "كان" منصوب.

وفي الشطر الثاني من البيت حرف شرط محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير: "إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ هُمْ".

فحُذفت أداة الشرط "إنْ" و بقي أثرها النحوي وهو الجزم، وهذا أمر معروف في النحو العربي، حيث تحذف أداة الشرط ويبقى عملها[1].

الفعل (قِيلَ) الأول بعد إنْ المحذوفة في محل جزم فعل الشرط، والفعل قيل الثاني في محل جزم جواب الشرط.

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

يحقق أسلوب الشرط الجازم هنا علاقة سببية بين فعل الشرط وجوابه، فبمجرد عَدِّ أهل التقى تتحقق النتيجة الحتمية لصفة التقوى وهي كونهم الأئمة، وهذا مما يزيد المدح تأكيدا والوصف ثبوتا.

1 ـ ينظر: توجيه اللمع: ص 379.

كما أنَّ لحذف أداة الشرط في الشطر الثاني "أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ" أثرا بالغا فهو يصور هذه الحقيقة كأنها أمر مُسلَّم، حتى إن الأمر لا يحتاج إلى إعادة أداة شرط.

كما أن تعدّد أساليب الشرط بين الصريح والمقدر مع وجود العطف يفيد تكرارا في المعنى يضفي على مكانة الممدوحين رفعة وعلو شأن.

الخلاصة:

استخدام أسلوب الشرط الجازم في الشطر الأول أفاد النتيجة الحتمية لصفة التقوى، بينما حذف أداة الشرط في الشطر الثاني صوَّر الأمر بأنه حقيقة مسلَّمة، وهذه البنية اللغوية المحكمة أفادت التوسع في دائرة المدح بشكل بالغ الأثر.

أعاد الفرزدق استعمال أداة الشرط "إنْ" في البيت الرابع والعشرين في قوله:

"لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ جودهمُ ولا يُدانِيهمُ قومٌ، وإنْ كَرُموا"

يتمحور أسلوب الشرط في هذا البيت حول أداة الشرط "إنْ" وهي حرف شرط جازم ـ كما سبق بيانه ـ من أدوات الشرط الجازمة التي تجزم فعلين: فعل الشرط وجواب الشرط.

فعل الشرط: "كَرُمُوا": فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة في محل جزم فعل الشرط.

وحذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه وهو قوله: "وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ".

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

اختيار الشاعر أسلوب الشرط باستخدام "إنْ" له أثر بالغ في تأكيد المعنى وإبرازه:

بما أنَّ أداة الشرط "إنْ" تفيد الإبهام والشك، أو احتمال الوجود والعدم في الشرط

الواقع بعدها[1]، فإن استخدام "إنْ" في هذا البيت يفيد أنَّ كرم أولئك القوم الآخرين حتى لو تحقق، فإنه لن يصل بهم إلى منزلة من يمدحهم الفرزدق، فاستحالت هنا المساواة بينهما.

كما أنَّ أسلوب الشرط هنا يبين الفرق الشاسع بين الممدوح وبين غيره من الكرماء، فحتى لو فرضنا وجود قوم كرماء، فهم لن يضاهوا مكانة الممدوح، وبهذا أبدع أسلوب الشرط في تصوير أنَّ كرم الممدوح ليس ككرم الآخرين، بل هو في مرتبة أعلى وأسمى.

الخلاصة:

كان لأسلوب الشرط الأثر العميق في تصوير المعنى، حيث أفاد استخدام أداة الشرط "إنْ" التي تفيد الشك والإبهام افتراضية كرم الآخرين وبيَّن استحالة وصولهم إلى منزلة الممدوح حتى على فرض تحقق ذلك الكرم، فجاء الأسلوب مُحْكَما ومُعبِّرا عن التفرد والعلو للممدوح.

أعاد الشاعر استخدام حرف الشرط "إذا" في البيت الخامس والعشرين في قوله:

"**همُ الغُيوثُ إذا ما أَزْمَة أَزَمَتْ الأُسْد أُسْدُ الشَّرَى والبأْس مُحْتَدِم**"

أداة الشرط إذا: حرف شرط غير جازم يفيد تحقّق الوقوع وتكرّره، لا مجرّد الاحتمال، بخلاف (إنْ)[2].

جملة الشرط: "ما أزمة أزمت": وما زائدة للتوكيد.

وحذف جواب الشرط لدلاة ما قبله عليه وهي الجملة الاسمية "هم الغيوث".

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

1 ـ ينظر: شرح الرضي: 4/ 90.

2 ـ ينظر: شرح التسهيل: 81/4، الإتقان: 1022/3.

يؤدّي أسلوب الشرط في هذا البيت وظائف دلالية بالغة الأهمية، منها:

ربط الكرم بالشدة، فالفرزدق لا يمدح قومه بالغيث مطلقًا، بل يجعل غوثهم مقترنًا بوقت الأزمات، وفي ذلك أسمى مراتب المدح، واختيار (إذا) بدل (إنْ) يدل على أنَّ الإغاثة متحققة الوقوع كلما نزلت الشدائد، وليست أمرًا محتملًا؛ لدلالة إذا على تحقق وقوع الأمر.

الخلاصة:

جاء أسلوب الشرط في بيت الفرزدق باستخدام (إذا) الظرفية غير الجازمة؛ ليؤدّي معنى التكرار والتحقّق، فجعل غوث قومه لازمًا لكل أزمة، وليس طارئًا، وقد أسهم هذا الأسلوب في إحكام البناء الدلالي للبيت، وربط صفتي الكرم والشجاعة بظرفهما الحقيقي، فكان الشرط أداة نحوية خدمت المعنى وجعلت صورة الممدوح في ذروة المجد عند الشدائد.

استعمل الشاعر أداة الشرط "إنْ" في البيت السادس والعشرين في قوله:

"لا ينقصُ العسرُ بسطًا مِنْ أكفهمُ سِيّانِ ذلك: إنْ أثَرَوْا وَإنْ عَدِمُوا"

أداة الشرط "إنْ" حرف شرط جازم، يفيد تعليق الجواب على الشرط مع دلالة الاحتمال، وقد وردت في هذا البيت مكرّرة للدلالة على شمول الحالين وتساويهما.

جملة الشرط الأولى: أثروا: وهي فعل ماضٍ مبنيّ على الضم في محل جزم، والواو ضمير متصل في محلّ رفع فاعل.

وجملة الشرط الثانية: وإنْ عدموا وهي معطوفة على جملة الشرط الأولى، في محلّ جزم.

جواب الشرط: سيّان ذلك: اسم بمعنى مستويان وهو خبر مقدم، وذلك: اسم إشارة

في محلّ رفع مبتدأ مؤخر، والجملة في محلّ جزم جواب الشرط.

أثر أسلوب الشرط في المعنى:

يؤدّي أسلوب الشرط في هذا البيت دورًا دلاليًا مهما، ويظهر أثره في:

تحقيق المساواة بين حالتي الغنى والفقر فجاء الشرط لإثبات أنَّ نتيجة الكرم واحدة في الحالين "إنْ أثروا وإنْ عدموا"، واستخدام (إنْ) مع تكرارها يفيد استيعاب كلّ الاحتمالات، أي لا يتغيّر حالهم على أيّ وجه كان، وهو بذلك يُنزّه الممدوح عن تأثّر عطائه بالظروف الاقتصادية، وهو من أعلى مراتب المدح في الشعر العربي.

الخلاصة:

جاء أسلوب الشرط في بيت الفرزدق باستخدام أداة الشرط (إنْ) الجازمة، مكرّرةً معطوفة، لا لتعليق الكرم على الغنى أو الفقر، بل لتقرير استواء الحالين وثبات الجود في جميع الظروف، وقد أسهم هذا التركيب الشرطي في تعميق الدلالة، وربط المعنى الأخلاقي بالبناء النحوي، فجاء الشرط أداة لخدمة المعنى وإبراز ثبوت صفة الكرم للممدوح رغم تقلب الظروف، فكرمه ثابت لا يتأثر بالغنى أو الفقر.

الخاتمة:

تبيّن من خلال هذه الدراسة النحوية لأسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق أنَّ هذا الأسلوب لم يكن مجرد تركيب نحوي فحسب، بل جاء أداة فاعلة في بناء المعنى العام للنص، وفي ترسيخ الصورة الذهنية للممدوح وإبراز صفاته، فقد أفاد أسلوب الشرط ـ بما يحمله من تعليق الجزاء على تحقق الشرط ـ معنى التلازم الحتمي بين صفات الممدوح وآثارها، بحيث تظهر أفعاله وصفاته نتائج طبيعية لازمة لمكانته، حيث أدّى هذا الأسلوب وظيفة واضحة لإظهار عظمة الممدوح عبر ربط الصفات بالأدلة والنتائج،

فكان التركيب الشرطي عنصرًا بنائيًا في تشكيل المعنى، وليس مجرد إطار شكلي، وبذلك تحوّل المدح في القصيدة من انفعال شعري إلى حُجّة لغوية قائمة على أساس الشرط والنتيجة.

كما نوّع الفرزدق في استعمال أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ووظَّفها توظيفًا نحويًا دقيقًا، فجعلها أداة لبناء المعنى، وربط بها الصفات بالنتائج ربطًا حتميًا، مما أسهم في ترسيخ صورة الممدوح في الذهن بوصفه حقيقة قائمة لا دعوى شعرية.

استعمل الفرزدق أدوات الشرط الجازمة لإفادة اللزوم الحتمي بين الشرط وجوابه، فجعل فضل الممدوح نتيجة لا تنفك، كما أنه استعمل أدوات الشرط غير الجازمة مثل (إذا) لإفادة تكرار وقوع الحدث، ولا شك أن هذا يضفى على صفات الممدوح قوة وثباتا.

وبالعموم فإنَّ جملة الشرط وجوابها تعمل على ربط الفعل بالنتيجة بشكل واضح، سواء للتحقق الواقعي أو لتأكيد الاحتمال أو الامتناع.

وقد اتّخذ الفرزدق من أسلوب الشرط ركيزة أساسية في عرض معاني العلو والتميز والمكانة التي يتمتع بها الإمام زين العابدين، ورغم أنَّ أسلوب الشرط في ظاهره النحوي هو علاقة ترابط بين جملتين تُقدِّم فيه إحداهما شرطًا لوقوع الأخرى، إلا أنَّ الشاعر أبدع في توظيف هذا الأسلوب لتصوير مكانة الممدوح وعظمته.

وأبرز التحليل أنَّ تنوع أدوات الشرط، وتعدّد أنماطه بين الصريح والمقدّر، قد أسهم في توسيع الدلالة الزمنية والمعنوية، فانتقل الخطاب من تقرير الواقع إلى استحضار العموم والاطراد، مما أكسب صفات الممدوح حكما عاما ثابتا، كما كشف التطبيق النحوي عن دقة الفرزدق في توظيف العلاقة بين فعل الشرط وجوابه من حيث الترتيب، والحذف، والاقتران، بما يخدم النص الشعري ويكثّف الدلالة دون إخلال بالبنية

النحوية. ومن خلال هذا التحليل، يتجلى بوضوح أنَّ أسلوب الشرط في قصيدة الفرزدق لم يكن مجرد أداة نحوية لربط الجمل، بل كان أداة فعالة أسهمت بشكل أساسي في تحقيق غرضها الأساسي وهو الدفاع عن الإمام وبيان مكانته التي لا تُضاهى، وبذلك يكون أسلوب الشرط قد شكل عمودًا رئيسيًّا من أعمدة بناء القصيدة الدلالي.

وبناءً على ما تقدم، تؤكد الدراسة أنَّ أسلوب الشرط في هذه القصيدة يمثل أنموذجًا بارزًا لتكامل الدرس النحوي مع التحليل الدلالي، ويكشف عن دور التركيب النحوي في إنتاج المعنى الشعري وتوجيهه.

التوصيات:

توصي الباحثة بمزيد من الدراسات التطبيقية التي تتناول الأساليب النحوية في الشعر العربي بوصفها مفاتيح أساسية لفهم دلالة النصوص.

المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد– السعودية، الطبعة: الأولى.

2. أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: 646هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، 1409 هـ – 1989 م.

3. توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ـ جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، 1428 هـ ـ

2007 م.

4. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : 749هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى 1428هـ ـ 2008م.

5. ديوان الفرزدق أبو فراس همّام بن غالب بن صعصعة ابن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وضخامته(38 هـ – 658 م) (110 هـ – 728 م)، شرحه وضبطه وقدّم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى (1407 هـ – 1987 م).

6. شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: 778 هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1428 هـ.

7. شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (المتوفى: 686 هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، 1395 – 1975 م، جامعة قار يونس – ليبيا.

8. شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن السيد،

د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (1410هـ - 1990م)

9. شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.

10. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: 889هـ)، المحقق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2004م.

11. شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (899 - 972 هـ)، المحقق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر، والأستاذ المساعد في كلية التربية بالمدينة المنورة جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1414 هـ - 1993 م.

12. معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى : 384 هـ)، بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة : الثانية، 1402 هـ - 1982 م.

13. النحو العربي، إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، الطبعة: 1، 1428 هـ.

14. النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب.

15. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر.